

# العلاج النفسي في كتاب ( الطب الروماني )

## لأبي بكر محمد بن زكريا الرازي

أ.م.د. طه جزاع

جامعة بغداد / مركز البحوث التربوية والنفسية

### حياته

ولد ابو بكر محمد بن زكريا الرازي في الري سنة ٢٥٠هـ (٨٦٤م) وتعمق في الطب والكيمياء والفلك والأدب والفلسفة وهو أحد مشاهير الاطباء في زمانه وهذا هو السبب الذي دعاه لأن ينتقل من بلاط الى آخر , ولم ينعم بالاستقرار في حياته بالنظر الى تقلب الأهواء والأمراء وأضطراب الأحوال السياسية . قام برحلات كثيرة , وعهدت اليه ادارة بيمارستان ( مصح ومشفى ) الري ثم قام بهذه المهمة نفسها في بغداد.

لقب بـ( طبيب المسلمين ) و( جالينوس العرب ) وأصبح أشهر طبيب في القرون الوسطى على الأطلاق , وأطلق عليه الغرب أسم Rhazes ( رازيس ) تذكيراً بأنه من الري وتمييزاً له عن عدة مفكرين آخرين عرفوا بأسم الرازي , وترجمت كتبه الطبية الى اللغة اللاتينية تحت هذا الأسم في الغرب كله , وبقيت مؤلفاته العلمية هي وحدها المعروفة مدة طويلة , وهي تبحث على وجه خاص في الطب والكيمياء وماتزال أوروبا وأمريكا تعترفان بجهوده في هذا المضمار , فقد خصصت جامعة ( برنستون ) في أمريكا بناية ضخمة تضم آثار الرازي لكونه واحداً من رواد الحضارة ( عبد العزيز ١٩٧٧ : ٥٤ ) .

لقد أمضى الرازي في الري باكورة عمره وشبابه , فدرس الأدب , والموسيقى , والطب , والفلسفة , وكان المجتمع العربي الاسلامي يحتم على الطبيب معرفة الفلسفة , فلا غرابة أن تدخل في علم الطب النظريات الرياضية , والطبيعية والمنطقية , كما كان يستوجب على الطبيب الألمان بخصائص الأغذية والأدوية وبعلم الكيمياء , وإن يمارس عمله وفقاً لمناهج رياضية منطقية , وكان ذلك هو مفهوم الفلسفة عند علماء القرن التاسع الميلادي , ومن ثم فإن الرازي يعد من أعظم فلاسفة ذلك العصر , فقد كان ينظر الى الفلسفة على أنها طريق الخلاص من كل المكدرات , فهي أداة التطهير التي تخلصنا مما نعانيه من آلام هذا العالم وهو عالم وفق رأيه يستشري فيه الشر الذي يتفوق على الخير , فحسب المرء أن ينعم بقليل من الراحة حتى يهنأ ويلتذ , ولعل ذلك هو الذي دفع الرازي لأن يحدد مفهوم اللذة بقوله : إنها ليست إلا الراحة من الألم , فاللذة عنده , هي دفع الألم , فلا توجد لذة إلا على أثر ألم , فهي حس مريح , ولعله إنجذب الى مهنة الطب لكي يخفف من وطأة الألم الذي يعانيه الإنسان في حياته .

يذكر أن الرازي عاد بعد جولاته الى الري المدينة التي ولد فيها , وتوفي فيها سنة ٣١٣ هـ بحسب بعض المصادر , أو سنة ٣١٥ هـ بحسب مصادر أخرى , وهناك من يجعل وفاته سنة ٣٢٠ هـ (٩٣٢م) في بغداد , وقد أصيب في آخر عمره بنزول الماء في عينيه حتى عمي , رافضا العلاج بقوله ( لقد أبصرت من الدنيا حتى مللت منها ) .

## فلسفته

فلسفياً فإن الصفة المميزة لفلسفة الرازي هي قوله بالقدماء الخمسة :

١- الله.

٢- الهيولى ( المادة الأولى ) .

٣- النفس الكلية .

٤- الزمان المطلق .

٥- المكان المطلق ( الخلاء ) .

ويصف الرازي الله بصفات الكمال المعروفة عند المتكلمين والفلاسفة الفيضيين , والله لايتغير وهو فاعل مختار . أما فكرته عن الهيولى (المادة الأولى ) فإنه يأخذ الهيولى بمفهومها الأفلاطوني وليس بمفهومها الأرسطي , ولكنه يضيف أن هذه الهيولى تتكون من ذرات لا تتجزأ وهي أزلية ركب الله فيها الموجودات فأحدث العالم , ولهذه الأجزاء الصغيرة جسم , وقبل أن تتكون منها الأجسام نسميها ( الهيولى المطلقة ) وتتألف الأجسام عنده من هذه الأجزاء ومن الخلاء بنسب متفاوتة , وبذلك يفسر العناصر الأربعة وكيفياتها على أساس مقدار تكاثف الذرات بتخلخلها , وعلى هذا الأساس يفسر الحركات التي للعناصر من أسفل الى أعلى كما في النار والهواء , ومن أعلى الى أسفل كما في التراب والماء , ولذلك فإن مسألة الثقل والخفة نسبيان ولايوجد ثقيل أو خفيف مطلق , وعلى هذا الأساس أيضاً حل الرازي مسألة خروج النار من الحجر عنده قدحه , فإذا قُدح الحجر تمزقت وتفرقت ما بينها من الهواء , فتباعدت أجزاء الهواء وأنقلبت ناراً ( الرازي , ١٩٨٩ : ١٣-٢١ ) .

أما النفس الكلية فإنها ليست مادية ، وأقل كمالاً من الله ، فيها حياة ولكنها جاهلة ، وفيها رغبة الأتصال بالهيولى . وحول الزمان المطلق فأن الرازي يرى أن له بداية وليس له نهاية ، وهو مقياس وجود القدماء وليس مقياس حركة الفلك التي تقاس بالزمان المحدود الذي هو حادث بحدوث العالم وينتهي بأنتهاءه تماماً كما هو عند أرسطو .

أما المكان المطلق ( الخلاء ) فمعروف أن أرسطو يقول أن المكان هو المتمكن ، فإذا رفضنا الأجسام كلها إنعدم المكان أبداً ، ولما كان يرى أن العالم محدود في الجرم ، فإنه قال بالمكان المحدود فقط ، ولقد قال إفلاطون قبل ذلك بالمكان المطلق على اعتبار أن العالم لانهاية له في الجرم ، وعلى أساس وجود خلاء ، وأن المتمكن هو غير المكان غير أن الرازي يميز بين مكانين :

المكان الأول : هو مكان العالم والأجسام ، وسماه بالمكان المحدود وهذا يزول بزوال المحدث والمكان المطلق : وهو الخلاء الأزلي الموجود مع الله ومع القدماء الآخرين ، وقد قال بوجود الخلاء داخل المكان المحدود وخارجه وعدّ هذا الخلاء مبدءاً ثابتاً الى جانب وجود الأجسام . وبرهن على وجود الخلاء بما يأتي : لو فرضنا أن الله أخرج من هذا العالم شيئاً كتفاحة مثلاً فأن المكان بعد أخذ التفاحة يبقى خالياً إنن يمكن أن نتصور وجود الخلاء ( الرازي ١٩٨٦ : ٢٢ - ٢٧ ) . وفي مسألة تفسير أصل العالم ، فقد وجد الرازي نفسه أمام مذهبين رئيسيين لتفسير أصل العالم ضمن المذاهب الروحية وهما :

أ- مذهب المتكلمين القائل : أن الله أوجد العالم بعد أن لم يكن موجوداً من لاشيء ، وفي زمان لاحق ، أي أن العالم عندهم حادث بالزمان وبالذات . وقد رفض الرازي هذا الحل ، لأن وجود شيء من لاشيء مستحيل عنده ، ولأن

الهيولى قديمة , كما بين ذلك في أدلته , ولأن هذا القول , أي بالخلق والزمان يقتضي الترجيح بلا مرجح , بدليل العلة التامة , والمقصود بالترجيح بلا مرجح , أن يكون أمام فاعل ما أشياء متماثلة , ويختار واحدة منها من دون سبب , وقد رد المتكلمون المتأخرون والفلاسفة بأستحالة هذا.

ب- مذهب الفلاسفة : وقد طبق الفلاسفة الفيضيون القائلون بقدوم العالم بالزمان أمثال ابن سينا هذا المبدأ , مبدأ المتكلمين القائلين بأحداث الله للعالم في زمن لاحق مخصوص , فقالوا : أن الأزمان متساوية متماثلة , فلماذا خص الله هذا الزمان بأيجاد هذا العالم دون الذي قبله أو بعده ؟ هذا ترجيح بلا مرجح .

أما الرازي فأن فكرته عن حدوث العالم تدور حول مسألة الخطيئة بسبب اشتياق النفس للهيولى , ونجد هذه الفكرة قبله عند إفلاطون وربما كان متأثراً بفكرة الخطيئة في التراث الفلسفي القديم سيما الأورفية والفيثاغورية أو متأثراً بأفلاطون وفيما بعده أفلوطين والصوفية , بل إننا نجد هذه الفكرة حتى عند الأديان الثلاثة الكبرى مع إختلاف في الأسماء والرموز , كما هو الحال في خطيئة آدم .

## كتبه ورسائله

يذكر الرازي في كتابه (( السيرة الفلسفية )) أنه ألف ما لا يقل عن مائتي كتاب في جميع جوانب الثقافة اليونانية والعربية , باستثناء الرياضيات التي تنكب عنها لسبب ما , ومع ذلك فلم يصلنا من هذا النتاج الفلسفي الضخم إلا النزر اليسير فقد ضاع منه الكثير , إلا أنه في

هذا أحسن حظاً من الفيلسوف اليوناني ديمقريطس وغيره في أن جانباً من تأليفه وكتبه ورسائله بقي الى اليوم شاهداً حياً على ما وصل اليه من فلسفة عظيمة وعبقريّة في الطب والعلوم لا يبلغها إلا الأقلون وبقيت مؤلفاته العلمية هي المعروفة مدة طويلة ، أما كتبه الفلسفية فقد بقيت مفقودة مدة طويلة ويعود الفضل في إعادة جمع كتبه الى المستشرق ( بول كراوس ) \* الذي قام بجمع مختارات من كتب الرازي عددها أحد عشر كتاباً في كتاب واحد طبع في القاهرة عام ١٩٣٩ ، وكان قبل ذلك قد نشر في باريس رسالة للبيروني عن كتب الرازي ، وينظر المؤرخون الى أبي بكر الرازي على أنه أبو الطب العربي فقد أطلق عليه ابن أبي اصيبعة لقب ( جالينوس العرب ) كما مر ذكره وبلغت شهرته الخليفة العباسي عضد الدولة فأراد أن يمتحن مواهبه فأستشاره في بناء بيمارستان ( مشفى ) بغداد وأراد أن يحدد له المكان المناسب لأقامته فقام الرازي بتحديد هذا المكان بطريقة مبتكرة ، مازال الأطباء يتحدثون عنها لمدى غرابتها ، فقد وضع قطعاً من اللحم في أنحاء مختلفة من بغداد وأخذ يلاحظ سرعة التعفن ، حتى أمكنه في النهاية من تحديد المكان الصحي المناسب الذي ينبغي أن تقام عليه المشفى . وللرازي كتب قيمة في الطب من أشهرها وأهمها كتاب ( الحاوي ) وهو أكبر موسوعة طبية عربية ،

وآخر بعنوان ( كتاب المنصوري ) نسبة الى نصيره الأمير منصور ابن أسحق وقد ترجم الى اللاتينية نهاية القرن الخامس عشر الميلادي ، وهذا الكتاب يضم وصفاً دقيقاً لتشريح أعضاء الجسم ، وله كتاب عن الأمراض الجسمية وكيفية معالجتها بالأدوية المختلفة، وآخر في أمراض الأطفال وفي الحصبة والجدرى حيث عرض فيه للمرة الأولى

\* بول كراوس ، مستشرق شهير ولد في براغ عام ١٩٠٤ وكانت جزءاً من الأمبراطورية النمساوية حتى عام ١٩١٩ . وفي عام ١٩٢٢ سافر الى فلسطين ودخل مدرسة الدراسات الشرقية وأتقن اللغة العربية . وفي عام ١٩٢٧ دخل جامعة برلين وحصل على الدكتوراه الأولى برسالة عنونها (رسائل بابلية قديمة) وبعد عامين عمل في معهد البحث في تاريخ العلوم في برلين فأكب على دراسة الكيمياء عند العرب وركز بحثه على رسائل جابر بن حيان في الكيمياء . وبعد سيطرة النازية على ألمانيا غادر كراوس الى باريس ليتعاون هناك مع المستشرق لوي ماسينيون في نشر (أخبار الحلاج) وفي الوقت نفسه سجل للحصول على الدكتوراه من جامعة السوربون برسالة عن محمد بن زكريا الرازي ، ولكنه لم يقدر له أن يناقشها . وفي أثناء إقامته في باريس نشر أيضاً رسالة للبيروني في ( فهرست كتب محمد بن زكريا الرازي ) . وفي عام ١٩٣٦ عين مدرساً للغات السامية في كلية الآداب بالجامعة المصرية ( جامعة القاهرة ) وكانت الثمرة الكبرى لعنايته بجابر بن حيان هي كتابه الكبير ( جابر بن حيان : اسهام في تاريخ الأفكار العلمية في الإسلام ) وهو في مجلدين ، الأول يضم سرداً للكتب أو الرسائل المنسوبة الى جابر بن حيان وما يوجد لها من مخطوطات ، والثاني فيه استطرادات حول تاريخ العلوم والكيمياء خاصة في الإسلام . وجد بول كراوس منتحراً في شفته بحي الزمالك في القاهرة في الرابع عشر من أيلول عام ١٩٤٤ [ للمزيد أنظر : موسوعة المستشرقين ، عبد الرحمن بدوي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٩ ] .

تفاصيل هذه الأمراض وأعراضها وطرق معالجتها ، ومن كتبه الطريفة كتاب ( من لا يحضره الطبيب ) حيث وضع فيه طب الفقراء ، ويعرض لكيفية معالجة المرض في غياب الطبيب والأدوية التي يجوز للمريض أن يتناولها ، وقد أعترف الأوروبيون بجهوده العظيمة في عالم الطب وكشوفه البارعة الخاصة بأمراض النساء والأمراض التناسلية ، وجراحة العيون ،

والرمد, والعدوى الوراثية , وكذلك في الطب النفساني حيث قام بتأليف كتابه الشهير ( الطب الروحاني ) الذي يهدف من ورائه الى اصلاح النفوس ( كوريان ١٩٨٣ , ٢١٣-٢٢٠ ) .

وفي مجال الكيمياء فأن الرازي كان أول من استحضر ( حامض الكبريتيك ) وقد أسماه ( زيت الزجاج أو الزجاج الأخضر ) ومعروف أن ( البير الكبير ) قد نقله عنه وأطلق عليه أسم ( كبريت الفلاسفة ) . كذلك يتجلى فضل الرازي في الكيمياء بصورة واضحة في تصنيفه للمواد الكيميائية فقد قام بتقسيمها الى أربعة أقسام : المواد المعدنية , والمواد النباتية , والمواد الحيوانية , والمواد المشتقة , وقد أستطاع تركيب بعض الحوامض , وأن يستخرج الكحول بأستقطاره لمواد نشوية وسكرية مختمرة وأباحه للصيديات لتركيب الأدوية . [ عبد العزيز ١٩٧٧ : ٥٩ ] [ ولمعرفة المزيد عن كتب الرازي ورسائله أنظر : البيروني , رسالة في فهرست كتب الرازي , تحقيق بول كراوس , مطبعة العلم , باريس , ١٩٣٦ ] .

## العلاج النفسي في كتاب ( الطب الروحاني )

يذهب الرازي الى أن النفس انما هي التي لها الشأن الأول في ما بينها وبين البدن من صلات وأن مايجري في النفس من ظواهر وهواجس , ومما تعانيه من آلام ومأس إنما يطفو



كل هذا على السطح من خلال الملامح الظاهرة , ومن أجل هذا فإنه يرى ان من الضروري لطبيب الجسم أن يكون أيضاً طبيباً للنفس , ولذلك وضع كتابه الأخلاقي الشهير ( الطب الروحاني ) الذي يعرض فيه النواحي التي ينبغي أن تكون عليها النفس من كبح , وسمو , وأرتقاء , وقمع للغرائز والشهوات مؤكداً دور وقيمة العقل الذي يعد من أعظم نعم الله على الإنسان , ليبذل به المنافع العاجلة والأجلة في حياته , ويفضله يتقدم الإنسان ويزدهر , وهو - أي الرازي - يعرض بأستحسان في كتابه هذا نظرية أفلاطون في أقسام النفس الثلاثة , ودور الموسيقى التي يدعوها الطب الروحاني , والرياضة التي يدعوها الطب الجسماني , كوسيلة لبلوغ تلك الحال من الأستقامة والاعتدال التي هي أساس الصحة الخلقية والروحية للنفس , ذلك أن تقويم النفس وأصلاح الأخلاق هي هدف كتابات الرازي الأخلاقية ومنها كتاب ( السيرة الفلسفية ) و(كتاب اللذة ) وكتابه الذي نعرضه هنا ( الطب الروحاني ) .

جاء هذا الكتاب ضمن نشرة ( بول كراوس ) التي سبقت الإشارة إليها , ويحتوي على عشرين فصلاً مثلما جاءت في أصل كتاب الرازي , هي على التوالي : في فضل العقل ومدحه , في قمع الهوى وردعه وجملة من رأي أفلاطون الحكيم , جملة قدمت قبل ذكر عوارض النفس الردية على أفرادها , في تعرف الرجل عيوب نفسه , في دفع العشق والألفة وجملة من الكلام في اللذة , في دفع العُجب , في دفع الحسد , في دفع المفرط الضار من الغضب , في إطراح الكذب , في إطراح البخل , في دفع الفضل الضار من الفكر والهم , في صرف الغم , في دفع الشره , في دفع الأنهماك في الشراب , في دفع الأستهتار بالجماع , في دفع الولع والعبث , في مقدار الأكتساب والإقتناء والأنفاق , في دفع المجاهدة والمكادحة على طلب الرُتب والمنازل الدنيائية , في السيرة الفاضلة , وفي الخوف من الموت .

يعتقد الرازي أن للنفس أثراً كبيراً على الجسم , وأن مزاج الجسم تابع لمزاج النفس , لذلك فإنه يوجب على طبيب الجسم أن يكون طبيباً للنفس أيضاً , بل أنه أكثر من هذا , يجيز لطبيب الجسم أن يوهم مريضه بالصحة مهما كان المريض مستعصياً لأن النفس تعمل عملها المؤثر في الجسم ( التكريتي ١٩٨٨ : ٢٤٨ ) ويصف ابن أبي أصيبعة كتاب الرازي هذا بأنه كتاب في طب النفوس , غرضه هو إصلاح أخلاق النفس ( ابن أبي أصيبعة ١٨٨٢ : ٣١٥ ) .

في مقدمة الكتاب يقول الرازي ان كتاب ( الطب الروحاني ) عبارة عن مقالة عملتها في إصلاح الأخلاق , وقد أطلقت عليها أسم ( الطب الروحاني ) ليكون قريناً لكتاب ( المنصوري ) الذي غرضه في الطب الجسماني وهدياً له , كي يضم إليه ويكون عموم النفع وشموله للنفس والجسد ( الرازي ١٩٧٧ : ٨ ) لذلك ندرك في الحال أن الكتاب هو كتاب أخلاقي , يعالج أمراض النفس , ويحذرننا من إنزلاق النفس في الرذيلة , ومن هنا يمكن أن نطلق عليه عناوين اخرى مثل إصلاح الأخلاق , أو تهذيب الأخلاق , أو تهذيب النفوس .

أن الرازي في كتابه هذا يُعظم العقل ويعدّه خير نعمة حباها الله بها , وإننا بالعقل نبلغ المنافع العاجلة والأجلة ( الرازي ١٩٧٧ : ١٧ ) وإننا بالعقل قد مُيزنا عن الحيوانات , وبه ندرك الأمور الغامضة البعيدة , الخفية المستورة , وبه عرفنا شكل الأرض والفلك وعظمة أحجام الشمس والقمر وسائر الكواكب وأبعادها وحركاتها . وكذلك فإننا بالعقل عرفنا الله عز وجل , الذي هو أعظم ما أستدركنا وأنفع ما أصبنا , إننا سعداء بالعقل الذي يرشدنا الى طريق النجاة وصلاح العواقب ولولاه لكانت حالتنا حالة البهائم والأطفال والمجانين ( الرازي ١٩٧٧ : ١٨ - ١٩ ) .

أن غاية الرازي كما يقول هي إصلاح أخلاق النفس وذلك بقمع الهوى , وتمرين النفس على ذلك حتى يتم فضل الأنسان , و تمييزه عن البهائم , أن الهوى في النفوس , يدعو أبدأً الى إتباع اللذات الحاضرة وإيثارها من غير فكر ولا روية في عاقبة , بينما المفروض بالأنسان أستعمال الفكر والروية في حياته الطبيعية , كي يتجنب كثيراً من الويلات ( الرازي ١٩٧٧ : ٢٠ - ٣٢ ) ويستشهد الرازي بأفلاطون الذي يقسم النفس الأنسانية الى عاقلة , وشهوانية , وغضبية , فالنفس الشهوانية لدوام الحياة , والنفس الغضبية لقمع الشهوات , والنفس العاقلة هي التي تقود الأنسان نحو طريق الخير .

ثم ينصح الرازي الانسان بالتعرف على عيوب نفسه بنفسه , كي يتجنب كل ما يضره ( الرازي ١٩٧٧ : ٣٣ - ٣٥ ) أما العشق فإنه مذموم حسب رأيه , لأن العشاق ينقادون الى الشهوات وطاعة الهوى , ويؤثرون اللذة , ويعانون من الحزن والسهر , لذا ينصح بدم النفس قبل الوقوع في العشق , وأن تحكم العقل أولى بالأنسان , وذلك بأن يتجه الى الحكمة وماينفع من العلوم ( الرازي ١٩٧٧ : ٣٥ - ٤٦ ) .

وبصفته طبيباً , نجده في كتابه هذا يصف المرض الأخلاقي ثم بعد ذلك يصف الدواء الناجع الذي على هداه يستطيع الأنسان أن يكون مستقيماً في حياته العامة , فهو مثلاً يذكر رذيلة العُجب في الأنسان, وبعد ذلك ينصح الانسان الا يكون معجباً بنفسه , بل الأولى به ان يكون متواضعاً لطيفاً مع الناس , لأن الناس يحترمون في هذه الحياة من يعرف قدر نفسه ولايستعلي على الآخرين , وكذلك الحسد فإنه صفة مذمومة , وأنه عارض رديء , يتولد من البخل والشر , وأن الرجل الشرير من يتمتع بأذى غيره , أو يسوءه إذا ماأصاب الخير أحداً من الناس , أن الحسود يكره الخير, ولذا فهو مذموم من لدن الجميع ( الرازي ١٩٧٧ : ٤٦ -

٥٤) والغضب عند الرازي شر ، وأن على الإنسان أن يكون معتدلاً في حياته عاقلاً في موازنته للأمر ، لأن الغضب سيعود على الإنسان الغاضب ، في نفسه أو في جسده ، عاجلاً أو آجلاً ، والكذب أيضاً صفة مقبلة ، وعلى الإنسان أن يطرح الكذب ، لأنه إذا ما أفتضح أمره مرة ، يبقى مردولاً مذموماً من لدن الآخرين ، والبخل أيضاً من الطباع المذمومة في الإنسان ، وأن على الإنسان أن يعود نفسه على الكرم من حين لآخر ، كي يتخلص من عادة البخل الذميمة ( الرازي ١٩٧٧ : ٤٧ - ٥٠ ) .

ويعالج الرازي مشكلة السكر معالجة تجمع بين حرفته كطبيب وبين كونه فيلسوفاً أخلاقياً ، إذ يقول عن السكر بأنه من العوارض الرديئة ، المؤدية بصاحبها الى المهالك والبلايا والأسقام ، وأن المفرط في السكر مشرف في اي وقت على السكتة والأختناق وعلى إمتلاء بطن القلب الجالب للموت فجأة وعلى إنفجار الشرايين التي في الدماغ ، وعلى التردى والسقوط في الأغوار والآبار ، كما أن السكر يُسبب الحميات الحارة والأورام الدموية والصفراوية في الأحشاء والأعضاء الرئيسية في الجسم وعلى الرعشة والفالج ، وما الى ذلك من أمراض ، إذ أن السكر من آفات العقل ، وعلى الإنسان أن يتدارك أمره فيبتعد عن مواطن السكر والشراب (الرازي ١٩٧٧ : ٧٢ - ٧٤ ) .

وينصح الرازي الانسان لدفع الغم بما حباننا الله من عقل ، فالغم يكدر العقل ويؤذي النفس والجسد والمفروض بالانسان أن يحتال لصرفه ودفعه أو التقليل منه والتضعيف له ما أمكن أما دفع الغم فيكون بوجهين : أحدهما بالاحتراس منه قبل حدوثه لئلا يحدث أو يكون ما يحدث أقل ما يمكن . والوجه الآخر دفع ما قد حدث ونفيه ، أما كله وأما أكثر ما يمكن منه والتقدم بالتحفظ ، لئلا يحدث أو ليقبل أو يضعف ما يحدث منه ( الرازي ١٩٧٧ : ٦٤ - ٦٥ ) ويضيف

الرازي بعد ذلك موضحاً أن المادة التي تتولد منها الغموم ، إنما هي المحبوبات ولم يمكن أن لاتفقد هذه المحبوبات لتداول الناس لها وكرور الكون والفساد عليها ، لذلك وجب أن يكون أكثر الناس وأشدهم غماً من كانت محبوباته أكثر عدداً ، وكان لها أشد حباً وأقل الناس عما كانت حالته بالضد من ذلك ، ينبغي إذن للعاقل أن يقطع مواد الغموم عنه بالاستقلال من الاشياء التي يجلب فقدها غماً . بل يتذكر ويتصور المرارة المتجرعة عند فقدها ( الرازي ١٩٧٧ : ٦٥ ) وهنا يقفز الى أذهاننا رسالة الكندي المسماة ( الحيلة في دفع الأحزان ) التي لا بد ان الرازي قد قرأها واطلع عليها ، وذلك لوجود الكثير من وجوه التشابه في عباراتهما بهذا الشأن ، اذ يذكر الكندي في مقدمة رسالته هذه : ان الحزن ألم نفساني يعرض لفقد المحبوبات وفوت المطلوبات ( الكندي ١٩٨٠ : ٦ ) ثم يقول بعد هذا إن القنية الحسية والمحبوبات الحسية والطلبات الحسية فإنها موقوفات لكل واحد ، ولا يمكن تحصينها ، ولا يؤمن فسادها وزوالها وتبديلها ، ان كل شيء حسي يكون بعد إقباله مدبراً ، إن القنيات الحسية لا تكون خاصة ، لأنها مقبلة مدبرة ( الكندي ١٩٨٠ : ٧ - ٨ ) . [ للمزيد أنظر المقارنة بين الكندي والرازي في هذا الشأن ضمن بحثنا الموسوم .. فلسفة الأخلاق عند أبي بكر الرازي ، المنشور في مجلة المورد ، المجلد ٢٩ العدد الثاني ، بغداد ٢٠٠١ ] . ويعالج أبو بكر الرازي مشكلة الخوف من الموت ، معالجة طبيب ، علمي عملي ، طبب الناس ولاحظ حالة المرضى ، وكيف يعانون قبل أن يدركهم الموت ، مستنتجاً ان الانسان لا يناله بعد الموت شيء من الأذى بتاتاً ، لأن الأذى حس والحس ليس إلا للحي وهو في حالة حياته مغمور بالأذى منغمس فيه ، لذلك لا داعي للخوف من الموت ، ويجب إطرار هذا الهم عن النفس ، لأن الهم في هذا الشأن يجلب أضعاف ما هو منتظر ، لأن المتصور للموت الخائف

منه يموت في كل صورة موتة ، فتجتمع عليه من تصوره له مدة طويلة ، موتات كثيرة ، إذن فإن الأجدود والأعود على النفس ، التلطف والأحتيال لهذا الغم عنها . ان الانسان الفاضل العاقل ، المكمل لإداء ما فرضت عليه الشريعة المحقة ، لأنها قد وعدته الفوز والراحة والوصول الى النعيم الدائم ، وإذا كان مقصراً بأداء ماتمليه الشريعة ، فإن الله تعالى أولى بالصفح والغفران له ( الرازي ١٩٧٧ : ٩٦ ) ونلاحظ ان الكندي الذي تأثر الرازي برسالاته في معالجة الآلام النفسية لايعالج مشكلة الموت من الناحية الدينية وحسب إنما يعاجها من الناحية الفلسفية أيضاً ، فالإنسان كما يعرفه حيوان ناطق مائت ، فالموت جزء من ماهيته كما أن الحيوانية جزء آخر ، والنطق جزء ثالث ، فلا ينبغي أن يجزع المرء من الموت لأنه قدر محتوم ، ولأن البدن فانٍ مائت ، ولكن النفس لاتموت ، فإذا فنى أحدنا هذا الفناء الظاهري في حياته الدنيا فإن النفس تتخلص عندئذٍ من علائقها البدنية وتنطلق حرة وتنعم بالسعادة في عالم العقل ونور البارئ ( التكريتي ١٩٧٩ : ١٤٦ ) .

### المصادر :

- ١- أبو بكر الرازي ، رسائل فلسفية ، تحقيق بول كراوس ، ط٢ ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ١٩٧٧ .
- ٢- أبو بكر الرازي ، رسائل فلسفية ضمن كتاب (رسائل فلسفية) ، تأليف د. ناجي التكريتي و.د. صالح الشماع ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٩ .
- ٣- ابن أبي اصيبعة ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، القاهرة ، ١٨٨٢ .
- ٤- أبو يوسف الكندي ، الحيلة في دفع الأحزان ، ضمن كتاب (رسائل فلسفية) تحقيق عبد الرحمن بدوي ، بيروت ، ١٩٨٠ .

- ٥- البيروني ، رسالة في فهرست كتب الرازي ، تحقيق بول كراوس ، مطبعة العلم ، باريس ،  
١٩٣٦ .
- ٦- كوربان ، هنري ، تاريخ الفلسفة الإسلامية ، منشورات عويدات ، ط ٣ ، بيروت ،  
١٩٨٣ .
- ٧- عبد العزيز ، سعد ، فلاسفة الإسلام ، مؤسسة دار الشعب ، القاهرة ، ١٩٧٧ .
- ٨- التكريتي ، ناجي ، الفلسفة الأخلاقية الإفلاطونية عند مفكري الإسلام ، دار الأندلس ،  
بيروت ١٩٧٩ .